

ام البنين ام العباس راعى الوفاء

المولد و النشأة

من مشرق المجد و الرسالة بزغ فى ربوع الحجاز و هجيرها المتوقد نور ساطع يشيق جلباب الظلام الحالك، فى فبس من النور الالهى المشرق، و لحن تائر من الحان الوجود، و مثال للقداسة الطاهرة. هنا لك لاحت تباشير السرور و الغبطة على صفحات الوجود، و تدفق تيار الحب العارم فى قلوب لاسرة الكلابية الكريمة، فابتهج الامل و الاقارب بمولد الصبية، حتى طاروا فرحا بهذا الرمز البشرى والسر المكنون الذى ازدحمت فيه المعانى الجليلة و الصور الساحرة. هذه الشخصية العظيمة، و القدوة الصالحة فى المجتمع لها فى كل صورة و وضع قوة اخاذة خلابة، تبهر النفوس و تحير العقول.^(١)

ان هذه السيدة الجليلة التى حباها الله و خصها بعناية تامة، استطاعت ان تصمد بكل اقتدار و حزم رغم تحديات الزمن.

روى الشيخ ابو نصر النجارى عن المفصل بن عمر انه قال الصادق «عليه السلام»: «كان عمنا العباس «عليه السلام» و اخوته عثمان و جعفر و عبدالله امهم ام البنين بنت حزام بن خالد بن ربيعة - الى ان قال - و قد روى ان اميرالمؤمنين «عليه السلام» قال لاخته عقيل - و كان نسابه عاملا بانساب العرب و اخبارهم انظر الى امراة و قد ولدتها الفحول من العرب لا تزوجها مثلد لى غلاما فارسا. فقال له: تزوج ام البنين الكلابية فانه ليس فى العرب اشجع من آبائها فتزوجها.^(٢)

فقد تزوج الامام على «عليه السلام» منها بعد وفاة الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء «عليها السلام» كما يرى ذلك بعض المؤرخين منهم الطبرى ابن الاثير و ابى الفداء فى تاريخه - على ان قسما آخر من ارباب التاريخ قالوا: انه تزوج بام البنين بعد زواجه من امامة بنت زينب بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» و ذلك وفقا لوصية الزهراء لعلى.

كل هذا حدث بعد وفاة فاطمه لان الله سبحانه قد حرم النساء على على ما دامت فاطمه موجودة.^(٣)

صفات ام البنين

كانت ام البنين صافية كسبيكة الذهب. كان ايمانها عميقا مثل البحر. و دافئا كضوء الشمس. فقد كانت من معادن العلم و النور و المعرفة و قد احسن امير المؤمنين على «عليه السلام» فى اختيارها اما لولده ابى الفضل العباس «عليه السلام» .

و كانت لها منزلة كبيرة عند الحسن و الحسين و عند زينب العقيلة. و قد زارتها زينب الكبرى بعد وصولها المدينة تقدم لها العزاء بمصرع اولادها الاربعة. كما كانت زينب «عليها السلام» تتعهد زيارة ام البنين فى كل فرصة تسنح لها خاصة فى المناسبات الدينية مثل ايام الاعياد حيث كانت تقوم زينب بزيارتها مع مجموعة كبيرة من النساء و الفتيات المؤمنات.^(٤)

و بلغ من عظمتها و معرفتها و تبصرها بمقام اهل البيت انها لما دخلت بيت على امير المؤمنين و كان الحسنان مريضين اخذت تلاطف القول معهما. و تلقى اليهما من طيب الكلام ما ياخذ بمجامع القلوب. و ما برحت على ذلك تحسن السيرة معهما و تخضع لهما الكلام كالام الحنون.^(٦)

و ليس غريبا على امراة مثل ام البنين هذه الشخصية الفذة ان تقوم بهذا الدور فى معاملتها للحسن و الحسن سيدى شباب اهل الجنة. فام البنين استضاءت بنور علم الامام على، و اخذت منه الادب و الاريحية و الوفاء، هذا بالاضافة الى اصالتها و عمق ايمانها و اخلاقها و ناهيك بمن تكون زوجة لبطل الاسلام الخالد، كيف لا تتاثر به. و تلتحق بروحه و اخلاقه و مبادئه.

اخلاص ام البنين

و لذلك يقال انها يوم رجع الناعى ينعى الحسين الى المدينة كانت فى طليعة المستقبلين بشر بن حذلم، و هو ينادى برفيع صوته :

يا اهل يثرب لامقام لكم بها قتل الحسين فادمعى مدرارا الجسم منه بكربلاء مخرج و الراس منه على القناة يدار

و لما وقع بصرها على الناعى لم تساله عن العباس، و لا عن اى واحد من ابنائها الذين قتلوا مع اخيهم الحسين، و انما سالته عن الحسين «عليه السلام» هل هو حى ام لا؟ و علت الدهشة وجه بشر بن حذلم عنه ما عرف ان هذه المرأة هى فاطمة بنت حزام العامرية، و هى ام البنين بالذات كيف لا تساله عن اولادها؟ و ظنها لوقع الصدمة ذهلت عن ابنائها، فراح يعددهم واحدا بعد الآخر، و فى كل واحد منهم كان يعزيها ويقول لها: عظم الله لك الاجر بولدىك جعفر.

فتقول: و هل سمعتنى اسالك عن جعفر؟ اخبرنى عن ولدى الحسين، انى اسالك عن الحسين.

و لم يلتفت بشر الى هذا الموقف و راح يخبرها ببقية اولادها، الى ان وصل الى العباس، فما كاد يخبرها بقوله: يا ام البنين عظم الله لك الاجر بولدىك ابى الفضل العباس، حتى نظر اليها و قد اعترها اضطراب شديد فى تلك اللحظة التى سمعت فيها بنا مصرع ابى الفضل العباس، بحيث اهتزت بدنها حتى سقط الطفل الصغير الذى كانت تحمله على كتفها على الارض و لم تقو على حمله، و لكنها جالدت نفسها، تحاملت و استمرت فى الحاحها على بشر؛ اخبرنى عن ولدى الحسين هل هو حى ام لا؟

يقول بشر: وحينما اخبرتها بمقتل الحسين و مصرعه صرخت و نادت: و احسيناه، و احبيب قلباه... يا ولدى يا حسين. نور عينى يا حسين. و قد شاركها الجميع بالبكاء و النحيب و العويل على الحسين، ولم تذكر ابناءها الا بعد ان ذكرت الحسين و بكت عليه.^(٧)

ثم بعد ذلك كانت تخرج الى البقيع و تخط قبورا اربعة لا اولادها و تجلس فى الشمس تندبهم، و ذلك لتشعل نارا ضد بنى امية، و ضد الظالمين الطغاة فى كل زمان و مكان.^{(٨) (٩)}

انه كانت ام البنين ام مؤلاء الاربعة الاخوة القتلى، تخرج الى البقيع فتندب بينها اشجى نديه و احرقها، فيجتمع الناس اليها يسمعون منها و يكون لبيكاتها. و كانت تقول فى نعيها لهؤلاء الفتية الذين امنوا بربهم وزادهم الله هدى.

و كانت تخاطب جارية لها :

لا تدعوني ويك ام البنين تذكر ين بليوت العرين كانت بنون لى ادعى لهم و اليوم اصبحت ولا من بنين اربعة مثل نسور الربى قد عاجوا الموت
بقطع الوتين يا ليت شعرى، اكما اخبروا بان عباسا قطيع اليمين

و اخلاص ام البنين لا يضاھيه اى اخلاص، لعلى و ذريته، و ان القلم ليعجز عن ادراك هذه الشخصية المحبوبة .

قيل ان ام البنين انت ذات يوم الى امير المؤمنين و قالت له: لى اليك حاجة.

قال لها: قولى ما عندك.

قالت: انا اطلب منك ان تغير اسمى، قالت عندما تناديني فاطمة، ارى الانكسار باديا على وجوه الحسن و الحسين و زينب فانهم يذكرون امهم
فاطمة الزهراء يتاملون. فما كان من الامام الا ان غير اسمها و سماها ام البنين .

فى تربية سيدى شباب اهل الجنة

فام البنين استضئت بنور علم الامام على عليه السلام و اخذت منه الادب و الوفاء هذا بالاضافة الى اصالتها و عمق ايمانها و اخلاقها.

فهرس:

(١) العباس، المقدم، ص ١٣٣.

(٢) العباس، المقدم، ص ١٣٣.

(٣) العباس بن على(ع)، عبدالحميد المهاجر، ص ٤١.

(٤) العباس، المقدم، ص ١٣٣.

(٥) العباس بن على(ع)، عبدالحميد المهاجر، ص ٤٢.

(٦) نفس المصدر السابق، ص ٤٣.

(٧) نفس المصدر السابق، ص ٤٣-٤٧.